

# الطبقات الكبرى لابن سعد

بمقتضى  
الاستاذ ابراهيم اليازجي

تمهيد

لقد عرف العرب الكتابة قبل الإسلام بزمن طويل ، ولا تزال نقوش الحميريين في اليمن جنوباً ، بالخط المسند ، ونقوش الأنباط في الشمال بالخط النبطي ، تؤكد تلك القضية .

غير أن الذي لا شك فيه أن عرب الحجاز ، لما غلب عليهم من بدادة ، أخذوا في الكتابة بأخرة . وآثارهم تشير إلى أنهم لم يعرفوا الكتابة إلا قبيل الإسلام وقد أظلمهم الإسلام والكتاب بينهم معدودون ، وحين أخذوا ينتقلون بالإسلام من بدادة إلى حضارة أخذوا يقبلون على الكتابة ، وأخذوا يفيدون من الكتابة إفادة الأمم المتحضرة ، فدونوا بها كل ما لهم من مظاهر الحياة .

والأهم حين تبدى فلا تملك أن تكتب تملك أن تحتزن في رؤوسها أخبارها ، وسرعان ما ينشأ بينها حفاظ يكونون رواة وإخباريين ، يعيشون على اتصال بالحياة ، ينقل راو عن راو ، ومخبر عن مخبر ، على صور تختلف باختلاف الأمم بيئة وطبيعة وكلفاً وتفريطاً .

غير أن الأمم مع هذه العهود المتخلفة لا تنسج رؤوسها لوعي شامل ، ولا يقوى حفاظها لحفظ كامل ، ولا تتأني لرواتها رواية صحيحة ، ولا تسلم أخبار إخباريها من الزيف ، لأن الأمر يكون بينهم على إطلاقه لا رعاية ضابطة من ورائه . ثم إن هذه الأمم في تحلفها لا تعنى إلا بحفظ المشوق المثير العجيب ، وإن جانب الحقيقة شيئاً ما .

وعرب الحجاز الذين عاشوا بدواً زمناً طويلاً خضعوا لهذا كله ، فوعوا في رؤوسهم ما تمليه عليهم البيئة من تعرف أماكن الجذب والخصب ، وتحفزهم إليه الطبيعة من النظر في مظاهر السماء ومواقع النجوم ، وهم مع ذلك كلّفوا من هذا كله بشيء وفرطوا في شيء ، وبقي ما تعيه الرؤوس من ذلك أخباراً يلقنها راو عن راو حتى أظلمهم الإسلام ، فاذا هم بين يدي جديد كاد ينسيهم القديم ، وإذا هم في شغل بهذا الجديد مع الكثير من وقتهم ، لا يلتفتون لهذا القديم إلا في القليل من وقتهم .

ومرويات الأمم إذا استصفيت كانت ألصق بالتاريخ منها بأي شيء آخر ، لا سيما إذا كانت هذه الأمم متبدية لم تدخل في حضارة ، شأن عرب الحجاز ،

فروياتها كلها تاريخ ، وما عداه يكاد يكون ظلالة له .  
فهؤلاء العرب الحجازيون كان التاريخ علمهم  
الأول ، تضبطه لهم الرواية ، ويحفظه لهم الأدب شعراً  
ونثراً ، ما وسعه هذا الحفظ . وكانت تلك طبيعة  
الحياة ، فالناس ما عاشوا في بيئة معنيون فيها بشيئين :  
بحياتهم وما يتصل بها من أحداث ، منجذبون إلى  
ما كان للسلف أكثر من انجذابهم إلى ما حولهم ، ثم هم  
يعنون إلى جانب هذا بمظاهر الأرض التي تقلهم  
والسما التي تظلمهم ، يتناقلون ذلك أخباراً أكثر مما  
يتناقلونه علماً .

وهكذا كان علم التاريخ علماً قديماً بقدم الأمة  
العربية ، كما كان علم الأرض وعلم السماء علمين  
قديمين أيضاً بقدمها ، ولكنهما كانا علمين على صورة  
أولى . وعلى حين كان يستند علم التاريخ إلى الرواية  
كان يستند علم الأرض وعلم السماء إلى التجربة ، ولقد  
كانت التجارب يعوزها كثير من وسائل العلم الحديث ،  
لهذا عاشت تلك التجارب قاصرة على وسائلها البدائية .  
وكانت الرواية تقوم على الحفظ في الأكثر والتحرى في  
الأقل . ولقد عاشت البيئة العربية القديمة لهذا الحفظ  
ولكنها لم تعيش لهذا التحرى ، لا سيما فيما انتقل إليها عبر  
قرون سحيقة .

وعلى هذا عاش رواة التاريخ من العرب القدامى ،  
وعاش علم التاريخ معهم تقيده الرواية ولا يضبطه  
التحرى .

وحين انتقل العرب من أمة جاهلة إلى أمة مسلمة ،  
ومن أمة بادية إلى أمة متحضرة ، أطرحت تاريخها  
الماضي شيئاً وأقبلت على تاريخها الحاضر ، وكما روت  
الماضي أخذت تروى الحاضر ، غير أنه كان ثمة  
خلاف ، فهي مع الماضي كانت روايتها تفقد السند  
المتصل ، وهي مع حاضرها وجدت السند الصحيح  
المتصل ، ثم هي مع ماضيها كان المروى لا يعرف هذه  
الطرق المختلفة في الرواية .

وبهذين الجديدين اللذين دخلا على علم التاريخ مع  
الإسلام نشأ التحرى الذى كان علم التاريخ يفقده من  
قبل ، وأخذ الناظر فى المروى يبنى تحريه على دراسة  
رجال السند الواحد ، ثم يبنى تحريه على موازنة  
ما انتهى إليه من أسانيد مختلفة .

وهكذا دخل علم التاريخ فى مرحلة جديدة ،  
اكتسب بها صفة العلم بعد أن لم يكن يملك هذه الصفة .  
ولقد عاش التاريخ مع ظهور الإسلام كما عاش  
قبل الإسلام أخباراً تروى ، ولكن مع هذا الفرق الذى  
بينته لك ، وعاش رواية تعتمد كما قلت لك على السند  
المتصل وعلى الموازنة بين الطرق المختلفة فى الرواية ،  
ولم يلتفت إلى تدوينه لأن الأمة العربية كانت معنية  
بما يتصل بكتاب الله ، ففرغت له ، ولم يكن بالشئ  
اليسير .

وكان علم التاريخ فى أكثره يتصل بمآثر الرجال  
ويدور حول بطولاتهم ، وكان هو وعلم الأنساب  
يجمعان فى مواطن كثيرة ، يكرر بعضها بعضاً .

تقرأ ذلك فى اللقاء الذى كان بين أبى بكر الصديق  
ودغفل بن حنظلة ، وكان كلاهما نساباً ، وأكاد أقول  
أن كلا منهما كان فى هذا الحديث مؤرخاً أكثر منه  
نساباً ، فلقد كان أبو بكر يسأل دغفلاً عن بطون قومه  
من ربعة ، ويحجب دغفل ويعقب أبو بكر بذكر النابه  
فى كل بطن وما نبه به . وكذلك فعل دغفل مع أبى بكر  
حين سأله عن بطون قومه من قريش ، فلقد كان يعقب  
هو الآخر حين يحجب أبو بكر ، يذكر النابه من كل  
بطن وما نبه به (١) .

ونحيل إلى أنه لم يكن ثمة تاريخ لا يدخله نسب  
ولا نسب لا يدخله تاريخ ، وأن هذين العلمين نشأ  
مزوجين ، وغلب عليهما أولاً اسم النسب ولم يغلب

(١) نهاية الأرب للقلقشنى (٨ - ٩) بتحقيقى .

عليهما اسم التاريخ ، لأن تعرف الآباء كان قبل تعرف الأنباء .

وحين وضعت الأمة العربية رجلها على الطريق مع الإسلام ، وأصبحت أمة تغزى إلى أنبائها وإلى آباءها، بدا هذا الانفصال وبدءوا صفحتهم التاريخية بصفحة الرسول وصفحاتهم مع الرسول .

والذى لم يستو لعرب الحجاز إلا أخيراً كان قد استوى لعرب الجنوب من قبل ، وحين علم عرب الحجاز علم التاريخ رغبوا إليه واستمعوا لرواة التاريخ يروونه بمنهجه المتميز عن منهجهم القديم .

ونحدثنا المسعودى أن معاوية بن أبى سفيان كان يجلس لأصحاب الأخبار فى كل ليلة بعد العشاء إلى ثلث الليل فيقصون عليه سر الملوك وأخبار الحروب (١)

ونحدثنا ابن النديم أن معاوية استقدم من صنعاء اليمن عبيد بن شرية وسأله عن الأخبار المتقدمة ، ثم أمره أن يدون له ذلك فى كتاب (٢) .

غير أن البيئة الحجازية لم تكن معدمة الإعدام كله من مثل هؤلاء الرجال الذين نبتوا فى الجنوب أو الشمال حيث الحضارة ، فلقد كان فى المدينة كعب الأخبار (٣٢ هـ) ، ويحكى عنه أنه كان عنده كثير من أخبار الأمم الغابرة ، وإليه تنهى نقول كثيرة نقرأها فى كتب التاريخ ، ولكننا على هذا لا نظنه بلغ مبلغ عبيد بن شرية .

وكانت هذه نشأة علم التاريخ متميزاً عن الأنساب ، وبدأ العرب — أو الأمويون على الأصح، إذ فى أيامهم كان هذا التميز — يسمون هذا العلم علم أخبار الماضين ، وكان الكتاب الذى وضعه عبيد بن شرية لمعاوية هو أخبار عبيد بن شرية ، وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ . وامتدت الحياة بعبيد بن شرية إلى أيام عبد الملك بن مروان ، فلقد كانت وفاته سنة ٦٧ هـ .

وكان هذا التاريخ الحافل الذى دخل على العرب بدخول الإسلام مادة حاضرة يعوزها التدوين ، وما إن استبان لهم هذا التدوين التاريخي المتميز على يد عبيد بن شرية حتى التفتوا إلى ما بين أيديهم يدونونه .

لم يرجع العرب إلى قديمهم فى التاريخ — أى إلى ما قبل الإسلام — لأن هذا القديم كان — كما قلت — يحمل علم الأنساب عبثه ، ثم إنهم بين يدي تاريخ حافل ملأ عليهم الفكر والوقت ، ثم هو إسلاميون يحبون العلم فى خدمة الدين ، من أجل هذا كله بدأوا تأريخهم بما كان للرسول . وإذا كانت أيامهم فى الجاهلية هى أحياناً ما فى أذهانهم وأروع ما يلفتهم إلى تاريخهم ، كانت الغزوات — أعنى غزوات الرسول — أحياناً ما بين أيديهم وأروع ما يلتفتون إليه .

ف نجد أبان بن عثمان (١٠٥ هـ) يقبل على جمع هذه المغازى ويكون شيخاً من شيوخها ، لم ينهه إلينا كتاب ألفه فى ذلك ، ولكننا نرى ابن سعد وهو يترجم للمغيرة بن عبد الرحمن يقول : كان ثقة قليل الحديث ، إلا مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذها من أبان بن عثمان ، فكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها (١) .

ونجد مع أبان بن عثمان شيخاً آخر كان إليه الكثير من أخبار المغازى هو عروة بن الزبير (٩٤ هـ) . وهو وإن لم يترك لنا كتاباً فى هذا غير أننا نجد نقولا كثيرة عنه خاصة بالمغازى يرفعها إليه ابن اسحاق والواقدي والطبرى .

وينضم إلى هذين الشيخين — أبان وعروة — شيخ ثالث من شيوخ المغازى ، هـ شرحبيل بن سعد (١٢٣ هـ) يقول ابن حجر عنه : ولم يكن أحد أعلم بالمغازى والبدرين منه (٢) .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥ : ١٥٦) .

(٢) تهذيب التهذيب (٤ : ٣٢١) .

(١) مروج الذهب (٢ : ٥٢) .

(٢) الفهرست (١٣٢) طبعة مصر .

ثم نجد إلى جانب هؤلاء الذين عاشوا رواة للمغازي ولم يؤثر لهم فيها كتاب ، رجلاً آخر عاش غير بعيد من هؤلاء الثلاثة ، ولكنه عاش للتدوين أكثر مما عاش للرواية ، وهذا الرجل هو وهب بن منبه ( ١١٠ هـ ) . إذن فلقد كان وهب يملك ما لا يملكه زملاؤه من أهل المدينة ، وكما وضع عقيد بن شربة كتاباً في أخبار الغابرين وضع وهب كتاباً في المبتدأ ، كما وضع كتاباً في ملوك حمير ، وهذا لأن وهباً كان من اليمن أصلاً . ثم كانت له جولات في المغازي .

يقول حاجي خليفة عند الكلام على مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويقال : إن أول من صنف فيها عروة بن الزبير وجمعها أيضاً وهب بن منبه (١) . ولقد وجد « بيكر » (Beker) بين مجموعة أوراق بردى « شت رينهاردت » المحفوظة الآن في « هيدلبرج » قطعة من هذا الكتاب كتاب المغازي المنسوب إلى وهب بن منبه (٢) .

ثم تتابع المشتغلون بالتاريخ - وفي عبارة أصح - المشتغلون بالمغازي رواة ومدونين ، منهم : عاصم بن عمر ( ١١٩ هـ ) وقد أمره عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة (٣) .

ومنهم : الزهري محمد بن مسلم ( ١٢٤ هـ ) . والرواة يروون عنه شيئاً كثيراً .

وعند الزهري يبدأ نوع من التحول ، فنرى التاريخ يتسع للدراسة أشمل ، وهي دراسة السير . فأبو الفرج الأصفهاني يروي أن خالد بن عبد الله القسري أمر الزهري بوضع كتاب في السير (٤) .

والاشتغال بالسير ، كان لا يعنى إهمال المغازي أو التخفيف من العناية بها ، بل كان يعنى ضم مزيد إلى المغازي ، وهذا المزيد كان يشمل الحياة كلها ما جاء قبل المغازي وما جاء معها وما جاء بعدها .

وعلى الرغم من مجيء الكتب الجديدة على هذا النهج الجديد المتضمن للسيرة ، فقد ظل الناظرون في هذه الكتب يغلبون عليها الاسم الأول ، لا يسمونها كتب سير ، ولكن يسمونها كتب مغاز .

فلقد ألف موسى بن عقبة ( ١٤١ هـ ) بعد الزهري كتاباً في السيرة ، نشر قطعة منه سخاو سنة ١٩٠٤ ، وفي هذه القطعة نقرأ شيئاً عن الهجرة ، كما نقرأ فيما اقتبس ابن سعد في كتابه الطبقات من كتاب موسى هذا شيئاً عن عدد المهاجرين إلى الحبشة والمشاركين في بيعتي العقبة (١) . وهذا وذاك يشيران إلى أن كتاب موسى كان كتاب سيرة . ولكننا على الرغم من هذا نرى مالك بن أنس يقول في كتاب موسى هذا : عليكم بمغازي موسى بن عقبة (٢) .

وكذلك ألف معمر بن راشد ( ١٥٤ هـ ) كتاباً يذكر ابن النديم أنه في المغازي (٣) . والكتاب فيه تاريخ لحياة الرسول قبل الهجرة (٤) .

ومن بعد موسى بن عقبة ومعمر بن راشد نجد أن محمد بن اسحاق ( ١٥١ هـ ) له كتاب يسمى : « كتاب المغازي » (٥) . والكتاب يضم أجزاء ثلاثة : المبتدأ والبعث والمغازي ، فهو بهذا ألصق بالسيرة منه بالمغازي ، إلا أن اسم المغازي كان لا يزال غالباً على الرغم من هذا التحول في التأليف التاريخي الذي بدأ بالزهري .

(١) الطبقات (٢ : ١ : ٣ : ١) .

(٢) تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٦١) .

(٣) الفهرست (ص : ١٣٨) .

(٤) الأعلام النفيسة لأبن رسته (ص : ٦٣) .

(٥) الطبقات (٦ : ٢٧٦) .

(١) كشف الظنون (٢ : ١٧٤٦ - ١٧٤٧) .

(٢) المغازي الأول ومؤلفوها . تأليف هورنر ترجمة

د . حسين نصار (ص : ٣٤) .

(٣) تهذيب التهذيب (٥ : ٥٣) .

(٤) الأغاني (١٩ : ٥٩) طبعة بولاق .

ويذكر ابن النديم لأبي معشر نجيح السندی (١٧٠ هـ) كتاباً اسمه كتاب المغازی<sup>(١)</sup> وحين نرجع إلى ابن سعد في نقوله عن أبي معشر نجد أنها أخباراً تتصل بحياة النبي كلها<sup>(٢)</sup>.

وما نظن المشتغلين الأول بالتاريخ حين خرجوا إلى ضم مزيد إلى المغازی ليخرجوا إلى التأليف في السيرة عامة وقفوا عند هذه ، بل لقد رأينا إلى جانبهم من اشتغلوا بموضوعات في التاريخ منها العام ومنها الخاص ، وأخذ هذا العلم التاريخي يعرض نفسه بمعانيه الواسعة .

فهرى أبا مخنف لوط بن يحيى (١٥٧ هـ) يموت عن كتب مختلفة في التاريخ ، منها : كتاب الردة ، وكتاب فتوح الشام ، وكتاب فتوح العراق ، وكتاب الجمل ، وكتاب صفين .

ونرى اسحاق بن بشر يؤلف : كتاب الجمل ، وكتاب الألوية ، وكتاب صفين ، وكتاب حفر زمزم ؟

كما نرى نصر بن مزاحم (٢١٢ هـ) يترك كتباً منها : كتاب الغارات ، وكتاب صفين ، وكتاب الجمل ، وكتاب مقتل الحسين .

وهذه الكتب وإن لم تكن عن مغازي الرسول فهي عما يشبه تلك المغازي في جملتها . وهذا يؤكد لك ما سقناه قبل من استئثار فكرة المغازي بتفكير المؤرخين من قبل الإسلام ومن بعده .

ثم نرى هذا التأليف التاريخي يتسع فيما يتصل بالجانب الخاص ، ونعني به الحديث عن شخص بعينه ، وإذا هو يعرض لمجموعات بعينها .

فيؤلف الهيثم بن عدى (٢٠٧ هـ) كتاب المعمرين ، وكتاب الوفود ، وكتاب ولادة الكوفة .

وتملى هذه الفكرة — أعني فكرة جمع أفراد

تنتظمهم صفة — فكرة قريبة منها ، وهي جمع أفراد تنتظمهم طبقات السنين .

فيؤلف الهيثم كتاب طبقات الفقهاء والمحدثين ، وكتاب طبقات من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة .

وكان الهيثم بهذا أول من ابتدع هذا التاريخ الطبقي ، وجاء على أثره — أو معه — الواقدي محمد بن عمر (٢٠٧ هـ) ، ثم جاء بعدهما رجلا آخران ضمهما عصر واحد ، وهما : ابن سعد كاتب الواقدي ، وخليفة ابن خياط ، وكلاهما مات في سنة ٢٣٠ هـ .

وأرى لزماً أن أفصل لك الحديث شيئاً عن الواقدي ، فلقد كان أستاذ ابن سعد ، وكان ابن سعد كاتبه ، ولقد عاش ابن سعد في ظل الواقدي نحواً من عشرين عاماً على الأقل يكتب له .

وابن سعد يروي عن شيخه الواقدي أنه ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ ، أى في خلافة مروان الثاني<sup>(١)</sup> .

كما يروي ابن سعد أيضاً عن شيخه الواقدي أن الرشيد حين زار المدينة في حججه — يعني حجته الثانية — وكان ذلك سنة ١٨٠ هـ<sup>(٢)</sup> — طلب من يحيى بن خالد أن يطلب له رجلاً عارفاً بالمدينة ومشاهداً . فأنهى يحيى إلى الواقدي ، ووصله بالرشيد .

ولقد اتصل الواقدي بالرشيد عن طريق يحيى البرمكي ، وولاه الرشيد القضاء بشرقي بغداد ، كما يذكر ابن خلكان في ترجمة الواقدي<sup>(٣)</sup> .

ولا ندرى كم لبث الواقدي في القضاء أيام الرشيد ، ولكننا نكاد نجزم أنه لم يبرح القضاء إلا حين نكب الرشيد البرامكة ، وكان ذلك سنة ١٨٧ هـ ، نفيد هذه من قول الواقدي وهو يحكي رحلته إلى يحيى من المدينة وما كان

(١) الطبقات (٥ : ١ و ٣ : ٧ : ٧٧) .

(٢) الطبري (ق ٣ ص : ٦٠٥) .

(٣) وفيات الأعيان (٢ : ٧٢٤) .

(١) الفهرست (ص ١٧٦) .

(٢) الطبقات (٢ : ١ ، ٣ : ٢١) .

بها ستمائة قمطر مملوءة كتباً . وهذه تدلّك على علم الرجل وقدره في التحصيل :

هذه هي حياة الواقدي شيخ ابن سعد سقناها في اجمال لنصلك بابن سعد .

\* \* \*

### محمد بن سعد

وفي البصرة وفي عام ثمانية وستين ومائة ( ١٦٨ هـ ) ولد محمد بن سعد بن منيع ، لم ينص على ذلك نص صراحة .

وفي بغداد سنة ٢٣٠ هـ توفي ابن سعد . نذكر هذا الترجمة التي وردت له في كتاب الطبقات<sup>(١)</sup> ، والتي أضافها تلميذه ، كما سترى بعد عند الكلام على الكتاب ، كما يذكره ابن النديم ( ٣٨٥ هـ ) والخطيب البغدادي ( ٤٦٣ هـ ) وابن خلكان ( ٦٨١ هـ ) والذهبي ( ٧٤٨ هـ ) وابن حجر ( ٨٥٢ هـ ) وابن تغري بردي ( ٨٧٤ هـ ) . وحين يذكر هؤلاء سنة وفاته هذه ، أعنى سنة ٢٣٠ هـ ، متفقين عليها ، يذكرون أنه مات عن اثنتين وستين سنة .

واتفاق هؤلاء على سنة وفاته وعلى سني عمره ينص في غير صراحة ، كما قلت لك ، على أن مولده كان قريباً من سنة ١٦٨ هـ .

غير أننا نجد بعد هذا رجلين أولهما ابن أبي هاشم الرازي ( ٣٢٧ هـ ) وثانيهما الصفدي ( ٧٦٨ هـ ) يخالفان هذا الاجماع . فيذكر ابن أبي هاشم أنه مات سنة ٢٣٦ هـ ، وهو حين يذكر هذا لا يذكر سني عمره التي عاشها ، ويذكر الصفدي أنه مات سنة ٢٢٢ هـ ، ثم يتفق مع السابقين في أنه عاش اثنتين وستين سنة . والصفدي حين يذكر سنة وفاته يذكرها غير قاطع فيقول : على خلاف في ذلك . وعبارة الصفدي هذه

من يحكي له فهو يقول : وأمر بتجهيزي فشحخت إلى المدينة فقضيت ديني ثم رجعت إليه فلم أزل في ناحيته<sup>(١)</sup> ونفد من المراجع تلميحاً لا تصريحاً أن الواقدي خرج من بغداد بعد نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ راجعاً إلى المدينة ، وأنه بقي بالمدينة إلى أوائل سنة ٢٠٤ هـ ثم عاد إلى بغداد ليلي القضاء بعسكر المهدي للمأمون ، وأنه بقي على القضاء للمأمون إلى أن مات سنة ٢٠٧ هـ . يقول ابن سعد : وكان قد تحول من المدينة فنزل بغداد وولى القضاء لعبدالله بن هارون أمير المؤمنين بعسكر المهدي أربع سنين<sup>(٢)</sup> .

ويقول ابن خلكان : وتولى القضاء بشرقي بغداد — يعني ولايته الأولى ، ثم يقول : وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي<sup>(٣)</sup> .

فلقد عاش الواقدي في المدينة إلى سنة ١٨٠ هـ ، ولا يمنع هذا من أن تكون له رحلات قصيرة إلى أماكن قريبة ، فلقد دلتنا رحلته إلى بغداد ، التي وصفها ابن سعد وهو يترجم له ، وابن خلكان في ترجمته له وفي ترجمته ليحيى ، أن الرجل كان ضيق الحال لا يقوى على الأسفار .

ثم كانت نقلة الواقدي إلى العراق بعد سنة ١٨٠ هـ وفي العراق بقي إلى سنة ١٨٧ هـ ، وهي السنة التي نكب فيها البرامكة ، ثم كان ما كان من عودته إلى المدينة ثم عودته إلى بغداد كما قدمنا .

ولقد مات الواقدي عن ثمانية وسبعين عاماً أنفقها في الدرس والتحصيل ثم التأليف ، يعدون له نحواً من ثلاثين كتاباً ، منها ست في علوم الدين ، وسائرهما في التاريخ .

وابن النديم يذكر أن الرجل خلف بعد وفاته مكتبة

(١) وفیات الأعيان ، ترجمة يحيى ( ٣ : ٢٢٢ ) .

(٢) الطبقات ( ٥ : ٣١٥ ) .

(٣) وفیات الأعيان ( ٢ : ٣٢٦ ) .

(١) الطبقات ( ق : ٧ ج : ٢ ص : ٩٩ ) .

تشير إلى أن ثمة مراجع قبله ذكرت غير ما ذكره الصفدى ، وكان ما اختاره هو الراجح ، ولكنه لم يشير إلى مراجعه هذه التى أخذ عنها والتى نظر فيها .  
ولقد رأينا ما وقع لنا من هذه المراجع لا يثير خلافاً البتة حول العام الذى توفى فيه ابن سعد . والغريب أن الصفدى نقل عن البغدادى ، والبغدادى كما رأيت لم يختلف فى وفاة ابن سعد .

ونكاد لهذا لا نلقى بالا لما ذكره الصفدى ، فهو مسبوق برجال أربعة لم صفتهم ، وهم ابن النديم والبغدادى وابن خلكان والذهبي ، وكلهم مجمعون على أن وفاة ابن سعد كانت سنة ٢٣٠ هـ ، وقبل هؤلاء تلك الترجمة التى انضمت إلى الطبقات ، وكاتبها لا شك كان ألصق بحياة ابن سعد من غيره .  
وما نحب أن نقول أن ثمة تراجم جاءت فى الطبقات كانت وفيات أصحابها بعد سنة ٢٢٢ هـ ، وهى السنة التى ختم بها الصفدى حياة ابن سعد ، فهناك تراجم أخرى كانت وفيات أصحابها بعد سنة ٢٣٠ هـ ، ومنهم من كانت وفاته سنة ٢٣٨ هـ مثل محمد بن بكار<sup>(١)</sup> ، فهذا دليل لا يدفع .

وإذا كنا قد ملكنا أن نطرح كلام الصفدى لتأخره ولتلك الأسباب التى قدمتها ، فانا نجد ابن أبى حاتم من المتقدمين ، ونجده أقرب المؤرخين عصرًا إلى ابن سعد . ونحن قد دفعنا قول الصفدى من غير نظر إلى الوفيات ، ونستطيع هنا أن ندفع قول ابن أبى حاتم مع النظر إلى الوفيات . فانا نرى أن ابن أبى حاتم وقع على وفاة من تلك الوفيات المتأخرة عن سنة ٢٣٠ هـ فى كتاب الطبقات ، وكانت تلك الوفاة من وفيات سنة ٢٣٦ هـ . وكتاب الطبقات يضم من هذا النوع أكثر من رجل ، منهم : أحمد بن إبراهيم الموصلى ، وكانت وفاته سنة ٢٣٦ هـ<sup>(٢)</sup> ، وحين وقع ابن أبى

حاتم على هذه مد حياة ابن سعد إلى تلك السنة ، ونخال أنه لو وقع على أخرى متخلفة عن هذا العام لمد حياة ابن سعد إليها .

نقول هذا عن ابن أبى حاتم لأنه لم يسق الكثير عن ابن سعد مما يدل على أنه كان قليل العلم به .  
ونعود بعد هذا إلى نسب ابن سعد فنقول : إلى « منيع » ينتهى نسب هذا الشيخ ، ولا نجد بين الذين ترجموا له من زاد بعد « منيع » رجلا آخر .

وإذا عرفنا أن ولاء ابن سعد كان إلى الحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، عرفنا أن الرجل لم يكن يضرب بنسب فى قبيلة من القبائل .

وهذا الولاء أفاده ابن سعد عن جده « منيع » الذى كان مولى للحسين بن عبدالله ، ثم عن أبيه « سعد » ، الذى أظله هذا الولاء أيضاً ، ولقد كانت وفاة الحسين بين سنتي ١٤٠ هـ ، ١٤١ هـ . ولا ندرى متى ولد الحسين ، غير أننا إذا ذكرنا أن مولد محمد بن سعد كان سنة ١٦٨ هـ أدركنا أن حياة الحسين أظلت جد ابن سعد وأباه .

ويذكر لنا ابن سعد وهو يترجم لعبدالله بن عبيدالله ، والد الحسين ، أنه بوفاة الحسين وبوفاة أخيه الحسن ، انقرض هذا الفرع من أولاد عبدالله ابن عبيدالله .

وإذ كانت وفاة الحسين سنة ١٤١ هـ دلثنا هذه على أن ولاء ابن سعد انقطع منذ هذا العام ، ولم يبق لمحمد بن سعد منه إلا اسمه .

غير أننا نجد ابن خلكان ينسب محمد بن سعد إلى بنى زهرة فيقول : أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهرى ، كاتب الواقدي .

ولا ندرى من أين جاء هذا اللقب . ونكاد نشك أنها من إضافة ناسخ أضافها إلى العنوان . ولعله التبس

(١) الطبقات (ق : ٧ ج ٢ ص ٨٧) .

(٢) الطبقات (ق : ٧ ج ٢ ص ٩٦) .

عليه محمد بن سعد هذا بمحمد بن سعد بن أبي وقاص الزهرى . ولقد جاءت ترجمته في إثر ترجمة ابن سعد .  
والذى يؤيدنا في هذا الشك أن ابن خلكان لم يعرض لهذه النسبة وهو يترجم لابن سعد ، وإنما عرض للكلام على ولائه للحسين بن عبدالله ، ومن أسلوب ابن خلكان أن يعرض لمثل هذه الأشياء التى تتصل بنسب المترجم .

وقد عرفت أن محمد بن سعد ولد بالبصرة ، وأن مولده كان سنة ١٦٨ هـ . وما إن استوى على قدميه وأخذ في طلب العلم حتى كانت له رحلات ، وليس في وسعنا أن نخصيها له ونتبعها مع مراحل عمره ، غير أننا نجده وهو يترجم لأبي علقمة الفروى عبدالله بن محمد ، يقول : ولكنه عمر حتى لقيناه سنة تسع وثمانين ومائة بالمدينة .

إذن فلقد كان ابن سعد بالمدينة سنة تسع وثمانين ومائة ، لا ندرى هل كان حلوله بها هذه السنة أم كان قبل ذلك ؟ ولكننا نقف عند هذه لفظة شيئاً يتصل بصلة ابن سعد بشيخه الواقدي .

فلقد مر بك أن الواقدي رجع عن الرقة إلى المدينة بعد سنة ١٨٧ هـ ، وأنه — أعنى الواقدي — بقى بالمدينة إلى ما قبل أوائل عام ٢٠٤ هـ .

ونحب أن نخرج من هذه إلى أن لقاء ابن سعد الأول لشيوخه الواقدي كان بالمدينة ، وأن هذا اللقاء كان في هذه الفترة التى عاشها الواقدي في المدينة بين القضاءين : قضاء الرشيد وقضاء المأمون .

وما نظن ابن سعد لقي الواقدي في بغداد قبل هذا العام لشيء واحد ، وهو أن ابن سعد وهو ينقل حديث الرحلة الأولى للواقدي إلى بغداد يقول : « حدثني أحمد ابن مسبح قال : حدثني عبدالله بن عبيدالله قال : قال لي الواقدي » . وإذا ما أخذ ينقل حديث حياة

الواقدي الثانية قال : أخبرني ، وهو يعنى الواقدي . ومنذ أن عرف ابن سعد شيخه الواقدي في المدينة لم ينفصل عنه إلى أن مات ، وهذه تعنى أنه حين رحل الواقدي عن المدينة في رحلته الثانية إلى بغداد رحل معه ابن سعد .

والغريب أن ابن سعد ، قد ترجم لشيخه الواقدي مرتين مرة مع أهل المدينة ، ومرة مع أهل بغداد ، ولم يذكر شيئاً عن صلاته به : متى لقيه ؟ وأين لقيه ؟ وكم سنة صحبه ؟

ولولا تلك الإشارات التى تحدثنا عن نقله عنه ، والتى وردت كثيراً في كتاب الطبقات الذى سنحدثك عنه ، ما علمنا شيئاً عن هذه الصلة .

ولقد حدثنا عنها البغدادي (٤٦٣ هـ) وهو يترجم لابن سعد وقال : الذين اجتمعت عندهم كتب الواقدي — وقد مرت بك — أربعة أنفس ، محمد بن سعد الكاتب أولهم .

ثم يقول : وفيها — أى سنة ثلاثين ومائتين — مات محمد بن سعد كاتب الواقدي .

وهذا الخبر يرويه ابن خلكان أيضاً (٦٨١ هـ) غير أنه يقول : أولهم كاتبه محمد بن سعد .

ثم يقول البغدادي : كان أحمد بن حنبل يوجه في كل جمعة بحنبل بن اسحاق إلى ابن سعد يأخذ منه جزأين من حديث الواقدي ينظر فيهما إلى الجمعة الأخرى ثم يردهما ويأخذ غيرهما .

وهذا الخبر يرويه ابن حجر (٨٥٢ هـ) أيضاً .

وهذه الصفة التى أضيفت إلى ابن سعد واشتهر بها ، وهى كاتب الواقدي ، وأثبتها له ابن أبي حاتم (٣٢٧ هـ) والبغدادي (٤٦٣ هـ) وابن خلكان (٦٨٩ هـ) والذهبي (٧٤٨ هـ) والصفدي (٧٦٤ هـ) وابن حجر .

(١) الطبقات (٥ : ٣١٤) .

(٢) الطبقات (٧ : ٧٧) .

(١) الطبقات (٥ : ٣١٤) .



(٨٥٢هـ) وابن تغرى بردى (٨٧٤هـ) والسخاوى (٩٠٢هـ)، لم يصرح بها ابن النديم (٣٨٥هـ) وهو يترجم لابن سعد ونراه يقول : من أصحاب الواقدي روى عنه، وألف كتبه من تصنيفات الواقدي . ولا نجد لها ذكراً إلا في العنوان، وهو « محمد بن سعد كاتب الواقدي » .

ونجد إلى جانب ابن النديم تلك الترجمة التي جاءت في كتاب الطبقات ترجم لابن سعد ، وعنوانها : « محمد بن سعد صاحب الواقدي » . وليس فيها بعد هذا ذكر لتلك الصفة من قرب أو من بعد .

وما من شك في أن هذه الترجمة التي تضمنها الطبقات تسبق غيرها ، وواضعها كان ألصق بابن سعد ممن أتوا بعده . وهذه تدلنا على أن صفة ابن سعد بـ « كاتب الواقدي » جاءت متأخرة ، وأقدم من سبق بها ابن أبي حاتم كما رأيت . ولا ندرى هل هي من إبداعه أم كان مسبوقاً إليها ، فليس ثمة ما يفسرها غير ما مر بك من توجيه أحمد بن حنبل إلى ابن سعد بـ « حنبل ابن اسحاق يأخذ منه جزأين من حديث الواقدي » . فقد تدل هذه على قيام ابن سعد بالكتابة للواقدي ، وكان هذا الحديث مما كتبه ابن سعد له .

غير أن ثمة شيئاً مر بك يدفعها ، وهو أن ابن سعد استأثر بالخط الأوفر من كتب الواقدي ، وقد يكون هذا الحديث مما وقع في حظ ابن سعد من كتب الواقدي .

وهكذا سوف تظل هذه الصفة يعوزها ما يؤيدها إلى أن نجد ما يشير صراحة إلى أن ابن سعد كتب للواقدي . أما هذه الرواية التي يرويها ابن سعد عن شيخه الواقدي فلا تؤيد هذه الصفة ، بدليل أن ثمة كثيراً رويوا عن الواقدي ولم نجد منهم من اتصف بهذه الصفة .

والذين أروخوا لابن سعد مجمعون جميعاً على أنه عدل صدوق عالم واسع الاطلاع .

يقول عنه ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ) في كتابه « الجرح والتعديل » سألت أبي عنه فقال : يصدق ، وسأله عن أحاديث فحدثه .

ويقول ابن النديم (٣٨٥هـ) في كتابه « الفهرست » وكان ثقة مستوراً عالماً بأخبار الصحابة والتابعين .

ويقول البغدادى (٤٦٣هـ) في كتابه « تاريخ بغداد » : وكان من أهل الفضل والعلم . ثم يقول : وكان كثير العلم كثير الحديث والرواية وكثير الطلب . ويروى هذا ابن حجر (٨٥٢هـ) في كتابه « تهذيب التهذيب » مع شيء من التحوير .

ويقول ابن تغرى بردى (٨٧٢هـ) في كتابه « النجوم الزاهرة » : كان إماماً فاضلاً عالماً حسن التصانيف .

غير أنا نجد البغدادى يقدم قبل تلك الشهادة التي نقلناها عنه ونقلها عنه ابن حجر حديثاً فيه تجريح لابن سعد . ولكنه لا يتركه دون أن يعقب عليه . يقول البغدادى نقلاً عن الحسين بن فهم : كنت عند مصعب الزبيرى فمر بنا يحيى بن معين فقال له مصعب : يا أبا زكريا حديثاً محمد بن سعد الكاتب بكذا وكذا ، وذكر حديثاً - فقال له يحيى : كذب . ثم يعقب البغدادى بقوله : قلت : ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من روايته . ولعل مصعباً الزبيرى ذكر ليحيى عنه حديثاً من المناكير التي يرويها الواقدي فنسبه إلى الكذب .

ولقد نقل هذه عنه ابن حجر ولم يزد .

ويقول السخاوى محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢هـ) في كتابه « الإعلان بالتوبيخ » : وهو ثقة وإن كان شيخه الواقدي ضعيفاً .

وهكذا نراهم كلهم مجمعين - كما قلت لك - على توثيقه أولاً ، ثم على علمه وفضله ثانياً ، غير ابن النديم

الذي نال منه في رفق . فجعل كل ما صنف من تصنيفات الواقدي .

ثم إن الذين أرخوا له شبه مجمعين على أنه ليس له غير كتابين : الطبقات الكبرى والطبقات الصغرى .

يذكر ذلك ابن خلكان فيقول : وصنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته . ثم يقول : وله طبقات أخرى صغرى .

ويقول الذهبي : مصنف الطبقات الكبير والصغير ومصنف التاريخ .

ويقول السخاوي : والطبقات الصغرى والكبرى لابن سعد .

ويقول حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » : طبقات الصحابة والتابعين لأبي عبد الله محمد بن سعد . . كتب أولاً إلى زمانه خمسة عشر مجلداً ثم انتخبه أصغر من ذلك .

وتجد إلى جانب هؤلاء الذين صرحوا بالكتابين آخرين صرحوا بكتاب واحد .

ففي الترجمة التي جاءت في الطبقات عن ابن سعد نجد : وهو الذي ألف هذا الكتاب كتاب الطبقات . ونجد البغدادى يقول : وصنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته . ويقول ابن حجر : وصاحب الطبقات .

ويقول ابن تغرى بردى : صنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والعلماء إلى وقته .

ثم نجد ابن النديم يقول : وله من الكتب كتاب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم .

وما نظن ابن النديم أراد بهذا غير كتاب الطبقات الكبرى . وغريبة أن ترد هذه على لسان ابن النديم فيسمى الكتاب بغير اسمه ، وهذا العلم ميدانه وهو من أصحابه . وظاهر أن ابن النديم كان يشك في نسبة هذا الكتاب — كتاب الطبقات — لابن سعد — ويراه للواقدي ،

فقد ذكر من بين مؤلفات الواقدي كتاباً باسم الطبقات ، ولم يذكر مثله لابن سعد .

ويفسر هذه ما جاء على لسان ابن عبد البر (٤٦٣ هـ) فهو يذكر في مقدمة كتابه « الاستيعاب » الكتب التي أخذ عنها فيقول : وما كان فيه عن الواقدي ، فأما كتاب الطبقات له فقرأته على أحمد بن قاسم التاهرتي عن محمد بن معاوية القرشي عن إبراهيم بن موسى بن جميل عن محمد بن سعد كاتب الواقدي عن الواقدي .

ثم يذكر بعد هذا طبقات خليفة بن خياط ولا يشير إلى طبقات ابن سعد بأية إشارة . ولكن الذي ينكره ابن عبد البر على ابن سعد يثبت له الذهبي فهو يقول في سياق ترجمته له : وقد أنبأنا بكتابه الطبقات الكبرى شيخنا الحافظ شرف الدين الدمياطي من سماعه من ابن خليل باسناده :

ويثبت له الذهبي مرة أخرى وهو يترجم لابن فهم تلميذ ابن سعد فيقول : سمع من محمد بن سعد الكاتب طبقاته .

فالمرحون الذين أرخوا لابن سعد بين مثبت له كتاباً وبين مثبت له كتابين ، لم يخرج على هذا الإجماع إلا الذهبي حيث أضاف له كتاباً في التاريخ .

ونحب قبل أن نودع حياة ابن سعد التي امتدت من سنة ١٦٨ هـ ، وهي السنة التي ولد فيها في البصرة ، إلى سنة ٢٣٠ هـ ، وهي السنة التي مات فيها ببغداد ، تلك الحياة التي طوت نحواً من اثنين وستين عاماً ، نحب قبل أن نودع تلك الحياة التي لم تكن بالقصيرة أن نذكر كيف لم تتمخض هذه الحياة الطويلة إلا عن كتاب أو اثنين ، على حين حفلت حياة شيخه بكتب كثيرة قاربت الثلاثين .

(١) تذكرة الحفاظ (٤ : ١٤١٧) .

قد يكون مرجع هذا إلى أن حياة الواقدي أربت على حياة ابن سعد بنحو من خمسة عشر عاماً ، وما خمسة عشر عاماً بقليل .

وقد تكون لأن ابن سعد شغل بالكتابة للواقدي عمراً لم يفرغ فيه لنفسه .

غير أنا لا ننسى أن ابن سعد فرغ لنفسه نحواً من ثلاثة وعشرين عاماً عاشها بعد وفاة شيخه ، فلقد كانت وفاة شيخه سنة ٢٠٧ هـ وكانت وفاة ابن سعد سنة ٢٣٠ هـ .

وما ثلاثة وعشرون عاماً بقليلة لرجل مثل ابن سعد اجتمع له تحصيل في ظل مؤلف جليل هو الواقدي ، ثم اجتمعت له كتب كثيرة آلت إليه من شيخه وفرت عليه الجهد في جمعها .

وإن هذا ليحملنا على القول بأن هذا الرجل اتسعت حياته لأكثر من هذين الكتابين . فقد شهد له بالعلم وهو حافظ على أن يسطره صاحبه ، وشهد له بالصدق ومعه يكون اطمئنان الرجل إلى أن يؤثر عنه ، ولقد عرفت معى صحابته للواقدي ثم مصير أكثر كتب الواقدي إليه .

ويشجعنا على هذه ذلك الغموض الذي أحاط بحياة الرجل ، فلم يكتب عنه إلا القليل ، وكان هذا القليل في كلمات معدودات يكرر بعضها بعضاً :

\* \* \*

## كتاب الطبقات الكبرى

وقبل أن أدخل بك إلى الحديث عن كتاب «الطبقات الكبرى» أحب أن أضيف شيئاً إلى ما قلته قبل عن هذا النهج التأليفى الذى بدأه الهيثم بن عدى ، وثنى به بعده الواقدي ، ثم جاء من بعدهما خليفة بن خياط وابن سعد ليأخذوا فى المنهج نفسه .

فلقد كان المراد بالطبقة أولاً عند أصحاب هذا المنهج : الجماعة الذين تنتظمهم حقبة زمنية محدودة .

والذى أوحى بهذا التقسيم أو بهذا النهج هو ضبط التلقى عن الرسول والرواية عنه ، فثمة صحابة سابقون عاشوا مع الرسول ، وثمة تابعون ، ثم تابعوا التابعين . وكل فئة من هؤلاء تنتظمها أزيمة مبكرة أو متأخرة ، وفرق بين صحابى أدرك الرسول بأولى وصاحبى أدركه بآخرة :

فأنت بهذا التقسيم تستطيع أن تحكم فى الحديث المروى بالنظرة إلى روايته عن طريق طبقاتهم . ولكى يصح لواضعى هذا المنهج هذا الضبط صحة كاملة جعلوا لكل طبقة زمناً من عشر سنين إلى عشرين :

وجعلوا من تضمهم هذه الحقبة الزمنية المحدودة طبقة : وهم كلما ضيقوا فى الحد قربوا من الضبط الذى ينشدونه . فتراهم مثلاً يجعلون الصحابة اثنتى عشرة طبقة ، الأولى قدماء السابقين الذين أسلموا بمكة ، ثم أصحاب دار الندوة ، ثم مهاجرة الحبشة الأولى ، ثم أصحاب العقبة الأولى ، ثم أصحاب العقبة الثانية ، ثم المهاجرون الأولون بين بدر والحديبية ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم من هاجر بين الحديبية وفتح مكة ، ثم مسلمة الفتح ، ثم الصبيان الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع .

فالطبقة على هذا جماعة اشتركوا فى السن ولقاء المشايخ والأخذ عنهم . وقد يكون شيوخ هذا الراوى شيوخ ذاك ، وقد يكون شيوخ هذا مماثلين أو مقاربين لشيوخ ذاك ، وقد يكون الشخص الواحد من طبقتين باعتبارين : بأن يكون الراوى من طبقة لمشاہته لتلك الطبقة من وجه ، أو من طبقة أخرى لمشاہته بها من وجه آخر ، وهذا مثل أنس بن مالك فهو من حيث صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم يعد من طبقة العشرة المبشرين بالجنة ، وهو من حيث صغر السن يعد فى طبقة من بعدهم .

(١) لسان العرب «طبق» .

(٢) كشف الظنون (٢ : ١١٠٣ - ١١٠٤) .

ترجمة) — الصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة (١٤٣ ترجمة) .

المجلد الخامس :

الطبقة الأولى من أهل المدينة من التابعين (١٤٠ ترجمة) — الطبقة الثانية من أهل المدينة من التابعين (١٨٤ ترجمة) — من كانوا من الأنصار (٧٣ ترجمة) — من كانوا من الموالى (٨٤ ترجمة) — الطبقة الثالثة من أهل المدينة من التابعين (٢٣ ترجمة) — الطبقتان الرابعة والخامسة ساقطتان — الطبقة السادسة (٤٠ ترجمة) — الطبقة السابعة (٣٤ ترجمة) — تسمية من نزل بمكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٢ ترجمة) — الطبقة الأولى من أهل مكة ممن روي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وغيره (١١ ترجمة) — الطبقة الثانية (٢٧ ترجمة) — الطبقة الثالثة (٥١ ترجمة) — الطبقة الرابعة (٢٣ ترجمة) — الطبقة الخامسة (١٩ ترجمة) — تسمية من نزل الطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٤ ترجمة) — من كان بالطائف من الفقهاء والمحدثين (٢١ ترجمة) — تسمية من نزل اليمن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٧ ترجمة) من كان باليمن من المحدثين ، وهؤلاء طبقات :

الطبقة الأولى (٩) — الثانية (١٠) الثالثة (٨) الرابعة (٧) — تسمية من نزل باليمامة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) — من كان باليمامة من الفقهاء والمحدثين (١٣) — تسمية من كانوا بالبحرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٥) .

المجلد السادس :

طبقات الكوفيين : تسمية من نزل الكوفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان بها من التابعين وغيرهم من أهل الفقه والعلم (١٥٠) —

ومن نظر إلى الصحابة باعتبار الصحبة جعل الجميع طبقة واحدة ، ومن نظر إليهم باعتبار قدر زائد مثل السبق إلى الإسلام وشهود المشاهد جعلهم طبقات . وهذا ما أخذ به محمد بن سعد في كتاب الطبقات .

وكذلك الحال في التابعين فنظر إليهم باعتبار الأخذ من الصحابة فقط جعل الجميع طبقة واحدة ، ومن نظر إليهم باعتبار اللقاء قسمهم وفق ذلك ، وهذا ما فعله ابن سعد أيضاً<sup>(١)</sup> .

فابن سعد كما ترى أضاف إلى المنهج شيئاً كما ترى ، فهو لم يطلق الصحبة إطلاقاً بل قيدها بالسبق إلى الإسلام كما قيدها بشهود المشاهد ، وهو لم يطلق التابعة إطلاقاً بل قيدها باعتبار اللقاء ، ثم هو قد أضاف شيئاً ثالثاً يتصل بهذا التقسيم الزمنى فجعل للمكان اعتباراً ، من أجل ذلك تكررت على لسانه بعض التراجم ، فراه يترجم للرجل ترجمة باعتبار زمنه ، وأخرى باعتبار مكانه كما فعل مع شيخه الواقدي ، فقد ترجم له ترجمتين<sup>(٢)</sup> ، وقد اضطره هذا إلى أن يطيل مع الأولى ويوجز مع الثانية .

وقد يكون في سرد ما ينتظمه الكتاب ما يزيدك بياناً :

المجلد الأول :

السيرة النبوية .

المجلد الثانى :

المغازى .

المجلد الثالث :

طبقات البدرين من المهاجرين (١٣٤ ترجمة) — طبقات البدرين من الأنصار (٢٥٩ ترجمة) .

المجلد الرابع :

الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار (٩٨

(١) نخبة الفكر ومصطلح أهل الأئمة لابن حجر أحمد بن علي

(٢) الطبقات (٥ : ٣١٤ ، ق : ٢ ج : ٧ ص : ٧٧) .

الطبقة الأولى من أهل الكوفة بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن رووا عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وغيرهم رضى الله عنهم (٤٤٥) - الطبقة الثانية ممن رووا عن عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو وجابر بن عبدالله والنعمان ابن بشير وأبي هريرة وغيرهم (٦٩) - الطبقة الثالثة (١٢٣) - الطبقة الرابعة (٨٢) - الطبقة الخامسة (٥٢) - الطبقة السادسة (٤٩) - الطبقة السابعة (٦٣) - الطبقة الثامنة (٤٥) - الطبقة التاسعة (٢٨) .

المجلد السابع :

تسمية من نزل البصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان بها بعدهم من التابعين وأهل العلم والفقه (٥٠) - الطبقة الأولى من الفقهاء والمحدثين والتابعين من أهل البصرة من أصحاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٥٢) - الطبقة الثانية ممن رووا عن عثمان وعلي وطلحة والزبير وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وغيرهم (١١٢) - الطبقة الثالثة (٥٤) - الطبقة الرابعة (٦٣) - الطبقة الخامسة (٥٠) - الطبقة السادسة (٣٩) - الطبقة السابعة (٥١) - الطبقة الثامنة (١٣) تسمية من كان بواسط من الفقهاء والمحدثين (٣٠) - من كان بالمدائن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) - تسمية من كان بالمدائن من المحدثين والفقهاء (٩) - من كان ببغداد من الفقهاء والمحدثين ممن نزلها وقدمها فوات (١٦٦) - تسمية من كان بخراسان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن غزاها ومات بها (٦) - من كان بخراسان بعد هؤلاء من الفقهاء والمحدثين (٥٦) - من كان بالرى من الفقهاء والمحدثين (٨) - من كان يقيم من المحدثين (٢) - من كان بهمدان من الفقهاء (١) - من كان بالأنبار من

المحدثين (٣) تسمية من نزل بالشام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١٤) - الطبقة الأولى من أهل الشام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٦) - الطبقة الثانية من التابعين بالشام (٢١) - الطبقة الثالثة (٢٧) - الطبقة الرابعة (٢٥) - الطبقة الخامسة (١٨) - الطبقة الثالثة (٩) - الطبقة السابعة (٨) - الطبقة الثامنة (٤) - تسمية من نزل الجزيرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) - من كان بالجزيرة بعد هؤلاء من الفقهاء والمحدثين والتابعين وغيرهم (١٩) - من كان بالعواصم والثغور (١٩) - تسمية من نزل مصر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٢) - الطبقة الأولى من أهل مصر بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) - الطبقة الثانية (١٣) - الطبقة الثالثة (٨) - الطبقة الرابعة (٧) - الطبقة الخامسة (٧) - الطبقة السادسة (٨) - من كان بابل (٨) - من كان بأفريقية (١) - من كان بالأندلس (١) .

المجلد الثامن :

تسمية النساء المسلمات والمهاجرات من قریش والأنصاريات والمبايعات - ذكر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم - تسمية النساء المسلمات المبايعات - تسمية غرائب نساء العرب المسلمات المهاجرات المبايعات - تسمية نساء الأنصار المسلمات المبايعات - تسمية النساء اللاتي لم يروين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروين عن أثر واحد .

فالكتاب بهذا يضم نحواً من ٣٠٠٠ ترجمة ، هذا غير التراجم المكررة . فكان لذلك مرجعاً أفاد منه من أتى بعد ابن سعد ، فعلى حذوه وضع ابن منده أبو عبدالله محمد بن اسحاق الأصفهاني كتاباً في أسماء الصحابة ، وعن ابن منده أخذ ابن عبد البر (٤٦٣ هـ) في كتابه الاستيعاب ، وابن الأثير (٦٣٠ هـ) في كتابه «أسد

الغاية في معرفة الصحابة» ، وابن حجر (٨٥٢ هـ) في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» و «تهذيب التهذيب» والذهبي (٧٤٨ هـ) في كتابه «تذكرة الحفاظ» . كما أفاد منه غير هؤلاء من القدامى الذين ألفوا على غير هذا المنهج ، مثل البغدادى (٤٦٣ هـ) في كتابه «تاريخ بغداد» ، والبلاذرى أحمد بن يحيى (٢٧٩ هـ) في كتابه «فتح البلدان» وابن أبي بكر (٧٤١ هـ) في كتابه «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عمان» . ولو شئنا استقصاء لذكرنا الكثير .

وهذا الكتاب كتاب الطبقات قد انتهى إلينا رواية عن الحافظ الدمياطى أبى محمد عبد المؤمن بن خلف ، شيخ الذهبي . وكانت وفاة الدمياطى سنة ٧٠٥ هـ : وقد ذكرت لك ذلك فيما مر . وعن الدمياطى أخذ الذهبي (٧٤٨ هـ) :

ويظهر أن النسخة التي بين أيدينا من الكتاب — كتاب الطبقات — هي النسخة التي انتهت إلى الذهبي ، ففي أولها : أخبرنا الشيخ الإمام العالم الحافظ العلامة النسابة شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن الدمياطى .

وقد تقدم أن الذهبي هو الذى روى الكتاب عن شيخه الدمياطى : ولا نظن أن ثمة ما يدفع هذا :

وينتهى الاسناد الذى جاء فى صدر الكتاب إلى ابن أبى أسامة ، تلميذ ابن سعد ، وهو أبو محمد الحارث ابن محمد بن أبى أسامة التميمي . وكان مولده سنة ١٨٦ هـ كما كانت وفاته سنة ٢٨٢ هـ :

وحين يترجم الذهبي لابن أبى أسامة يذكر من شيوخه غير واحد ، منهم الواقدي ولا يذكر ابن سعد منهم .

غير أن ابن حجر يذكر ابن أبى أسامة هذا مرتين : مرة بين تلامذة الواقدي والأخرى بين تلامذة ابن سعد : ولقد ذكرت لك ما قاله الذهبي عن تلميذ لابن سعد ، هو ابن فهم الحسين بن محمد ، وأن الذهبي

قال عنه : سمع من محمد بن سعد الكاتب طبقاته : ولقد كان مولد ابن فهم هذا سنة ٢١١ هـ كما كانت وفاته سنة ٢٨٩ هـ .

ونحيل إلى — أن إسناد الذهبي — الذى ذكر فيه رواية الكتاب ، كتاب الطبقات ، عن شيخه الدمياطى لو امتد لرأينا ابن فهم مكان ابن أبى أسامة . ولكن هذا السند الذى ذكره الذهبي وقف فيه عند شيخ الدمياطى ، وهو ابن خليل أبو الحجاج يوسف (٥٥٥ هـ — ٦٤٨ هـ) .

والغريب أن هذه النسخة من كتاب الطبقات التي انتهت إلى منتصف القرن الثامن الهجرى ، وهو العصر الذى انتهى إليه الذهبي ، انتهت إلينا على غير حال سليمة :

١ — إذ نجد فيها خرمًا . وقد أشرت إلى موضع منه وأنا أسرد أبواب الكتاب فى المجلد الخامس ، إذ سقطت منه طبقتان هما الرابعة والخامسة .

٢ — ونجد عناوين لأصحاب تراجم وليس معها تراجم مثل ما وقع لبكر بن الطويل<sup>(١)</sup> ، فقد ذكر الاسم فقط ولم يتبعه كلام :

٣ — ضم تراجم إلى الكتاب امتدت وفياتهم إلى سنة ٢٣٨ هـ دون الإشارة إليها بإشارة موضحة :

وثمة شيء نجب أن نشير فيه ضوء هذا الاضطراب وفى ضوء التراجم التي لا سند لها فى الكتاب :

١ — أين كتاب الطبقات الصغرى :

٢ — ثم على أية صورة كان هذا الكتاب :

ما نشك فى أن ابن سعد حين انتخب طبقاته الصغرى كان هذا بأخرة ، كما يقول حاجى خليفة : وما نشك فى أن ابن سعد :

١ — تخفف فيه من بعض التراجم .

٢ — وأنه تخفف من التكرار .

(١) الطبقات (ج : ٧ : ق : ٢ : ص : ٧٧) .

٣ - وأنه تبعاً لهذه الثانية تخفف من السند .

ولإذا انتهينا إلى هذه فهل نستطيع أن نقول بأن هذا الكتاب الذى بين أيدينا مزيج بين الطبقات الصغرى والكبرى ، وليس هو الطبقات الكبرى خالصة . أما الذى نجزم بها فهو أنه ليس لابن سعد كله بل إن لتلميذه ابن فهم ، أو لتلميذه الآخر ابن أبي أسامة ، إضافات تكشف عنها تلك التراجم التى امتدت إلى سنة ٢٣٨ هـ .

وثمة ملاحظة جديرة بالإشارة إليها وهى أن التراجم المتأخرة - أعنى التى جاءت بعد سنة ٢٣٠ هـ - وهى السنة التى توفى فيها ابن سعد ، جاءت مختصرة عارية من السند ، على وفق تراجم أخرى ضمها الكتاب وجاءت سابقة ، أى فى حياة المؤلف .

ولقد كنا نفيد شيئاً ذا بال لو أن مختصر السيوطى (٩١١ هـ) لهذا الكتاب وقع لنا . فحاجى خليفة يقول : اختصر السيوطى طبقات ابن سعد وسماها : انجاز الوعد ، المنتقى من طبقات ابن سعد .

وكتاب الطبقات الذى بين أيدينا مقسم إلى مجلدات ثمانية كما رأيت ، لا ندرى إن كانت تعادل ما أشار إليها حاجى خليفة حين يقول : « كتب إلى زمانه خمسة عشر مجلداً » أم لا ؟ ولو أن للكتاب مقدمة لمكتنتنا من الحكم . ولكنه جاء خالياً من أى تقديم . وما من شك فى أن ابن سعد كانت له نظرة ثانية فى الكتاب حين اختار وانتخب ، وكان هذا كفيلاً بأن عملي كلمة هنا وكلمة هنا مع الكتابين تبين منهجه ، غير أنه لم يفعل فأنار بهذا شكاً ، ولقد أثار أكثر منه بإغفاله هذه المقدمة فترك غير واحد يظنون أن الكتاب للواقدي مستندين إلى رواياته الكثيرة عنه فى هذا الكتاب ناسين أن ثمة روايات أخرى لابن سعد لا تنتهى إلى الواقدي . وهأنذا أسوق إليك تراجم ثلاثة : الأولى من الطوال ، والثانية والثالثة من القصار ، تكشف الأولى عن رواية ابن سعد عن الواقدي وعن غيره فوق ما تكشف عن

أسلوب ابن سعد فى الطبقات الكبرى الذى لا نشك فيه ، وتلك الثانية والثالثة على هذا الأسلوب الذى نرى أنه من أسلوب الطبقات الصغرى .

### (١) أبو جعفر محمد

ابن على بن حسين بن على بن أبي طالب بن عبد المطلب وأمه أم عبدالله بنت حسن بن على بن أبي طالب . فولد أبو جعفر بن محمد وعبدالله بن محمد . وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وإبراهيم بن محمد . وأمهم أم حكيم بنت أسيد ابن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى وعلى بن محمد وزينب بنت محمد . وأمهما أم ولد . وأم سلمة بنت محمد وأمها أم ولد .

قال : أخبرنا أحمد بن عبدالله بن يونس قال ثنا إسرائيل عن جابر قال : قال لى محمد بن على : يا جابر لا تخاصم فان الخصومة تكذب القرآن .

قال أخبرنا أحمد بن عبدالله بن يونس قال حدثنى فضيل بن عياض عن ليث عن أبي جعفر قال : لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإنهم الذين يخوضون فى آيات الله .

قال أخبرنا الحسن بن موسى قال ثنا زهير عن جابر قال : قلت لمحمد بن على : أكان منكم أهل البيت أحديزعم أن ذنباً من الذنوب أشرك ؟ قال لا . قلت : أكان منكم أهل البيت أحد يقر بالرجعة ؟ قال : لا . قلت : أكان منكم أهل البيت أحد يسب أبا بكر وعمر ؟ قال : لا فأحبهما وتولاهما واستغفر لهما .

قال أخبرنا شهاب بن عباد قال : ثنا إبراهيم بن حميد عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي الضحاك قال قال أبو جعفر : اللهم إني أبرأ إليك من المغيرة بن سعيد وبيان .

قال أخبرنا عبيد الله ابن عبد المجيد الحنفى قال ثنا  
سفبان الثورى قال حدثنى جعفر بن محمد عن أبيه أنه  
كان يفلى رأس أمه .

قال حدثنا الفضل بن دكين قال ثنا يوسف بن  
المهاجر الحداد قال رأيت أبا جعفر راكباً على بغل  
أو بغلة ومعه غلام يمشى بجانبه .

أخبرنا عفان بن مسلم قال حدثنى معاوية بن  
عبد الكريم قال : رأيت على محمد بن على أبى جعفر  
جبة خز ومطرف خز .

أخبرنا الفضل بن دكين قال ثنا شريك عن جابر  
عن أبى جعفر قال : انا آل محمد نلبس الخز والمعصف  
والمصر واليمنة .

أخبرنا الحسن بن موسى قال ثنا زهير عن جابر  
عن محمد بن على قال : انا آل محمد للبس الخز واليمنة  
والمعصفرات والممصرات .

قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال انا إسماعيل بن  
عبد الملك قال رأيت على أبى جعفر ثوباً معلماً فقلت  
له فقال لا بأس بالأصبعين من العلم بالابريس في الثوب  
قال أخبرنا عبيد الله بن موسى والفضل بن دكين  
قالا ثنا عمرو بن عثمان عن موهب قال . قال : رأيت  
على أبى جعفر ملحقة حمراء . قال أخبرنا عبيد الله بن  
موسى عن إسرائيل عن عبد الأعلى أنه رأى محمد بن  
على يرسل عمامته خلفه قال أخبرنا عبيد الله بن موسى  
قال أنا إسرائيل عن جابر قال رأيت على محمد بن على  
عمامة لها علم وثوبا له علم يلبسه قال أخبرنا يزيد بن  
هارون قال انا محمد بن اسحاق قال رأيت أبا جعفر  
يصلى في ثوب قد عقده خلفه .

أخبرنا محمد بن عمر قال أنا عبد الرحمن بن  
عبد العزيز عن حكيم بن حكيم ابن عباد بن حنيف  
قال : رأيت أبا جعفر متكئاً على طيلسان مطوى في  
المسجد .

قال محمد بن عمر : ولم يزل ذلك من فعل  
الأشراف وأهل المروءة عندنا الذين يلزمون المسجد  
يتكئون على طيالة مطوية سوى طيلسانه وردائه الذى  
عليه .

قال أخبرنا عبيد الله بن موسى والفضل بن دكين  
قالا ثنا إسرائيل عن عبد الأعلى قال : سألت محمد  
ابن على قال عبيد الله عن الوسمة . وقال الفضل بن  
دكين عن السواد . فقال : هو خضابنا أهل البيت .  
أخبرنا الفضل بن دكين قال ثنا نصير بن أبى  
الأشعث القرادى عن ثوير قال : قال أبو جعفر  
يا أبا الجهم بما تخضب ؟ قلت بالحناء والكم . قال هذا  
خضابنا أهل البيت .

قال أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال  
انا زهير قال ثنا عروة بن عبد الله بن قشير الجعفى  
قال : قال لى أبو جعفر أخضب بالوسمة . .

قال أخبرنا معن بن عيسى قال حدثنى هارون بن  
عبد الله بن الوليد الميصى قال رأيت محمد بن على  
على جهته وأنفه أثر السجود ليس بالكثير .  
قال أخبرنا مالك بن إسماعيل عن الفضيل بن  
مرزوق عن رجل عن أبى جعفر قال اياكم والضحك  
أو قال وكثرة الضحك فانه يمج العلم مجاً .

أخبرنا الحسن بن موسى قال ثنا زهير عن جابر  
عن محمد بن على قال : كان في خاتمى اسمى فاذا  
جامعت جعلته في فمى .

قال أخبرنا إسماعيل ابن عبد الله بن أبى أويس قال  
حدثنى سعيد بن مسلم بن بانك أبو مصعب أنه رأى  
على محمد بن على بن حسين بردا قال وزعم لى سالم  
مولى عبد الله بن على بن حسين أن محمداً أوصى بأن  
يكفن فيه .

قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال انا إسرائيل  
عن جابر عن محمد بن على أنه أوصى أن نيكفن في  
قميصه الذى كان يصلى فيه .



قال أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال نا زهير  
قال ثنا عروة بن عبد الله بن كشير قال سألت جعفرأ في  
أى شىء كفنت أباك قال أوصانى فى قميصه وأن أقطع  
أزراره وفى ردائه الذى كان يلبس وأن أشتري برداً  
بمانياً فان النبى صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب  
أحدها برد يمان .

قال أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن مهنّب الحارثى  
قال نا سعيد بن مسلم بن بانك قال رأيت على نعش  
محمد بن على بن حسين برد حبرة أخبرنا عبد الرحمن  
ابن يونس عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد قال  
سمعت محمد بن على يذكر فاطمة بنت حسين شيئاً من  
صدة النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذه توفى لى ثمانيا  
وخمسين ومات لها قال محمد بن عمر وأما فى روايتنا  
فأنه مات سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين  
سنة وقال غيره توفى سنة ثمانى عشرة ومائة وقال  
أبو نعيم الفضل دكين توفى بالمدينة سنة أربع عشرة  
ومائة وكان ثقة كثير العلم والحديث وليس يروى عنه  
من يحتج به .

## (٢) الحكم بن عمرو بن مجدع بن حديم

ابن الحارث بن نعيمة بن مليك بن ضمرة بن بكر  
ابن عبد مناة بن كنانة ونعيمة أخو غفار . وصحب  
الحكم بن عمرو النبى صلى الله عليه وسلم حتى قبض  
النبى عم ثم تحول إلى البصرة فنزلها فولاه زياد بن  
أبي سفيان خراسان فخرج إليها .

قال أخبرنا اسحاق بن يوسف الأزرق قال حدثنا  
هشام بن حسان عن الحسن أن زياداً بعث الحكم بين  
عمرو على خراسان ففتح الله عليهم وأصابوا أموالا  
عظيمة فكتب إليه زياد أما بعد فان أمير المؤمنين كتب  
إلى أن أصطفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين  
الناس ذهباً ولا فضة . فكتب إليه سلام عليك أما بعد

فأنك كتبت إلى تذكر كتاب أمير المؤمنين وأنى  
وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين وأنه والله  
لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد فاتقى الله  
لجعل الله له منها مخرجاً والسلام عليك قال ثم قال للناس  
أعدوا على فيثكم فاقسموه .

قال أخبرنا يزيد بن هارون قال هشام بن حسان  
عن الحسن أن زياداً بعث الحكم بن عمرو الغفارى على  
خراسان فغوا فأصاب مغنا .

قال أخبرنا على بن محمد القرشى قال فلم يزل  
الحكم بن عمرو على خراسان حتى مات بها سنة خمسين .  
وذلك فى خلافة معاوية بن أبى سفيان .

## (٣) شجاع بن مخلد

ويكنى أبا الفضل من أبناء أهل خراسان من البغيين  
روى عن هشيم عامة كتبه وعن إسماعيل بن عليه  
وغيرهما وهو ثقة ثبت وتوفى ببغداد لعشر خلون من  
صفر سنة خمس وثلاثين ومائتين وحضره بشر كثير  
ودفن فى مقبرة باب التبن .

\* \* \*

فهذه تراجم ثلاثة تكشف لنا عما ذكرنا قبل .  
وبعد فلقد طبع الكتاب طبعة أولى فى ليدين بين سنتي  
١٩٠٣ ، ١٩٠٧ ، بعناية المستشرق سخاو وآخرين معه ،  
ولقد اعتمدوا فيها على مخطوطات خمس . وجاءت هذه  
الطبعة فى ثمانية مجلدات كل مجلد فى جز غير المجلدات  
الثالث والرابع والسابع فقد جاءت فى جزأين .

ومع هذه الطبعة تعليقات كثيرة وفهارس جامعة  
للتراجم والأماكن والأحاديث والقوافى .

وفى سنة ١٩٥٧ م طبع هذا الكتاب طبعة ثانية  
بيروت ومع تقديم طيب بقلم الأستاذ إحسان عباس ،  
وهو لا يزال فى حاجة إلى طبعة ثالثة تستدرك ما نحسه  
فيه من نقص واضطراب .